معيار الإعلامية لدى روبرت دي بوجراند وتجلياته في آيات القرآن الكريم: دراسة دلالية

The Standard of Robert De Beaugrande's Standard of Informativity in the Quranic Verses: A Semantic Study

Manifestatasi Robert De Beaugrande piawaian nilai maklumat dalam ayat-ayat Al-Quran: Satu Kajian Semantik

نئ حنان مصطفى*

محمد إخوان بن عبدالله**

ملخص البحث:

يتناول هذا البحث موضوع الإعلامية التي تعْنى بمدى ما يتصف به النص من عناصر متوقعة مقابل عناصر غير متوقعة ومعلومة مقابل غير معلومة بالنسبة للمتلقين، ويقصد بالمتلقين في هذا البحث متلقو القرآن الكريم على وجه الخصوص. وبما أنّ النصوص القرآنية نصوص إلهية، فمن المتوقع أن تتميّز إعلاميته من سائر النصوص البشرية؛ ولذا، يهدف هذا البحث إلى إبراز بعض تجليات الإعلامية العامة في القرآن الكريم من خلال المحاور التالية: الآيات المتشابهة، و"اللغة الجديدة"، والحروف المقطعة، والإشارات العلمية في القرآن. وقد تمّ مناقشة هذه المحاور المختصة بالقرآن في ضوء الإطار العام لمبادئ نظرية الإعلامية، وبيان أثر هذه التجليّات الإعلامية في التلقي عند الجاهليين، والعلماء القدامى والمعاصرين. وتوصّل الباحثان إلى أنّ القرآن يحتوي على درجات مختلفة من الإعلامية، بعضها منخفض وهو المحكم من الآيات، وبعضها مرتفع وهو المتشابه من الآيات، وأن القدامى من المفسرين والعلماء قد بذلوا جهودهم في خفض إعلامية القرآن الكريم من خلال القرآن نفسه، والحديث الشريف، وأقوال الصحابة والتابعين، ومن خلال الإشارات العلمية، وكذلك أن القرآن يحمل رسالة خالدة، يتماشى مع كل عصر من العصور، يصدّق كل ما توصل إليه العلماء في العصر الحديث، وأنّ إعلاميته تفوق إعلامية النصوص البشرية لأنه علم الله فوق كل شيء.

الكلمات المفتاحية: المعايير النصية – الإعلامية – الإعجاز اللغوي – الإعجاز العلمي–العصر الحديث.

Abstract:

* أستاذة مشاركة، قسم الغلة العربية وآدابها، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، ماليزيا.

** محاضر، قسم الغلة العربية وآدابها، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، ماليزيا.

أرسل البحث بتاريخ: ٢٠١٧/٨/٢٢م، وقبل بتاريخ: ٢٠١٨/٢/١م.

This paper studies the topic of informativity which concerns about to what extent a text is expected or unexpected, known or unknown for the receivers, namely –in this paper-the receivers of the Quran. As the Quran is the word of God, we believe that the Quranic texts have distinctive features of informativity as compared to human texts. Therefore, we carry out this study to highlight some of the general manifestations of informativity of the Quran based on the following themes: Allegorical verses, "new language", Quranic initials, and scientific signs in the Quran. These Quranic themes were discussed in the light of general framework of informativity theory. Besides that, we also discussed the effects of informativity of the Quran on pre-Islamic society traditional as well as contemporary Muslim scholars. We conclude that the Quranic texts comprise of different grades of informativity, some of them are low and it is the same as the concept of 'clear verses' (muhkam) and some of them are high in informativity which are equivalent to the concept of 'allegorical verses'(mutasyabih). Muslim scholars have put their utmost efforts to downgrade the informativity of the Quran using Quranic verses itself, hadith, companion sayings as well as the scientific signs. We also conclude that the Quran brings eternal message that consistent with all time and it asserts many of the scientific findings. Overall, we could say that the informativity of the Quran goes beyond the informativity of human texts because Allah's knowledge is beyond time and space.

Keywords: Standards of Textuality – Informativity - Linguistic Inmatibility - Scientific Inmatibility

Abstrak:

Kajian ini membincangkan tajuk nilai maklumat (informativity) yang berkenaan dengan sejauh mana sesuatu teks itu boleh dijangka atau tidak, boleh diketahui atau tidak bagi penerima (receiver) atau pembaca yang mana dalam kajian ini merujuk kepada penerima dan pembaca teks Al-Quran. Sebagai kalam Tuhan, kita beriman bahawa teks Al-Quran mengandungi ciri-ciri informatifiti yang istimewa berbanding teks ciptaan manusia. Atas dasar itu, kami menjalankan kajian ini bagi menjelaskan sebahagian manifestasi umum bagi ciri-ciri informatifiti Al-Quran berdasarkan tema-tema berikut: 1- Ayat-ayat mutasyabihat, 'bahasa baharu', huruf-huruf abjad pada permulaan surah, dan petanda-petanda saintifik dalam Al-Quran. Selain itu, kami juda membincangkan tentang kesan informatifiti Al-Quran terhadap masyarakat Arab jahiliyah dan para sarjana kontemporari. Kajian merumuskan bahawa Al-Quran mengandungi pelbagai peringkat informatifiti yang mana sebahagiannya rendah sekaligus bersamaan dengan konsep ayat-ayat muhkam manakala sebahagian ayat yang lain mengandungi informatifiti yang tinggi. Ini sejajar dengan konsep ayat-ayat mutasyabihat. Para sarjana Islam telah berusaha gigih untuk merendahkan tahap informatifiti Al-Quran menggunakan ayat-ayat Al-Quran sendiri, hadith, kata-kata para sahabat dan malahan petanda-petanda saintifik yang terkandung dalam Al-Quran. Umumnya, boleh kita katakan bahawa tahap informatifiti Al-Quran melangkaui batas nilai maklumat teks manusia kerana ilmu Allah tiada batasan masa dan ruang.

Kata kunci: Standard Tekstualiti – Nilai Maklumat – Kemukjizatan Bahasa – Kemukjizatan Saintifik.

مقدمة:

من المسلم به أن الإعلامية بصفتها نظرية نصّية موحّدة لم تنشأ على أيدي القدامى العرب، غير أن البلاغيين والنقاد منهم كانوا قد تطرّقوا إليها في دراساتهم لموضوعات البلاغة بما فيها البيان والمعاني والبديع، فتناولوا معايير الغرابة والطرافة في العناصر البلاغية، وهذا القرطاجني في سياق بحثه في المحاكاة – أي التشبيه– قسّم التشبيه باعتبار اعتياده وغرابته إلى ستة أقسام :محاكاة حالة معتادة، ومحاكاة حالة مستغربة، ومحاكاة معتاد بمعتاد، ومستغرب بمستغرب، ومعتاد بمستغرب، ومستغرب بمعتاد،[١] وجدير بالذكر أن (المستغرب) و(المعتاد) من أهم ما تتناوله نظرية الإعلامية، وهو ما يتميز به النص من توقع المقابل عدم التوقع أو المعرفة مقابل عدم المعرفة، وفضلاً عن ذلك فإن البلاغيين والنقاد قد وضعوا معايير الطرافة والغرابة لسائر الفنون البلاغية الأخرى، فميزوا بتلك المعايير المألوف (الكفاءة الإعلامية المنخفضة) وغير المألوف (الكفاءة الإعلامية المرتفعة) من التعابير البلاغية، وتتمثل الإعلامية لديهم في الوصف المبتكر أو مخالفة الشعر القديم أو أن يأخذ الشاعر معنى من شاعر قديم ويضيف إليه معنى جديداً مبتكراً.[٢] وقد أشار إلى الإعلامية الشيخ عبد القاهر الجرجاني عندما ميّز النص المحتمل الدلالات من النص المحتوي على معنى واحد؛ حيث قال: (واعلم أنه إذا كان بيناً في الشيء –أنه لا يحتمل إلا الوجه الذي هو عليه حتى لا يشكل، وحتى لا يحتاج في العلم بأن ذلك حقه وأنه الصواب إلى فكر وروية– فلا مزية، وإنما تكون المزية، ويجب الفضل إذا احتمل في ظاهر الحال غير الوجه الذي جاء عليه وجها آخر).[٣]

وأما في العصر الحديث، فتُدرس الإعلامية في حقل اللسانيات النصية، بصفتها معياراً من المعايير النصية التي وضعها بروجراند ودريسلير في مجال لسانيات النص، والتي كانت نقطة تحوّل من نحو الجملة إلى نحو النص، ويحمل هذا العلم الفكرة القائلة إن النص هو وحدة لغوية، شأنه كشأن الوحدات اللغوية الأخرى من الفونيمات والكلمات والجمل. وتعد المعايير السبعة، وهي: الاتساق، والانسجام، والإعلامية، والتناص، والسياق، والقصدية، والمقبولية معايير شاملة تحكم اتصالية النص وكينونته. وسيركز هذا البحث على معيار "الإعلامية" فقط، وقد عرّفها بروجراند ودريسلير بأنها هي ما يتَّسم به النص من توقّعٍ في مقابِل عدم التّوقع أو المعرفة في مقابل عدم المعرفة،[٤] وبعبارة أخرى إنها مدى ما يقف عليه المتلقي من عناصر جديدة أو غير متوقعة عند اتصاله بالنص.[٥]

تهتم نظرية الإعلامية بعناصر مفاجئة وغير متوقعة في النصوص، والمتدبر للقرآن الكريم يجد أن بعض آياته حافلة بمعلومات وتنبؤات ومفاجآت لا يمكن الوصول إليها، إلا بعد تمعّن وتدبّر دائبين، وقد شغل لهذا الغرض علماء ومفسّرون وفقهاء ولغويّون، فألّفوا من أجل خدمة هذه اللغة وكشف غرائبها مؤلفات في شتّى المجالات. وفي هذا الصدد يود الباحثان أن يوليا اهتمامهما على بعض عناصر الإعلامية، والعلوم

التي تعمل على خفض إعلاميتها، وتكشف أسرار القرآن وغرائبه، وبيان الاكتشافات العلمية الحديثة التي تؤدي دوراً مهما في تفسير القرآن؛ ما يدل على أن القرآن نصوص ذات تجليات إعلامية مرتفعة للغاية منذ أول وحي أنزل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها إلى قيام الساعة.

أولا: الإطار العام لنظرية الإعلامية

١. تعريف الإعلامية:

عرّف روبرت دي بوجراند ودريسلير (Robert De Beaugrande & Dressler) الإعلامية بأنها: (مقدار ما تتَّسم به الوقائع النصية من توقّعٍ في مقابِل عدم التّوقع أو المعرفة في مقابل عدم المعرفة)،[٦] أو هي (مدى ما يقف عليه المتلقي من عناصر جديدة أو غير متوقعة عند اتصاله بالنص).[٧] وعرّفها بوجراند في دراسة أخرى له تعريفاً إجرائياً بقوله: (...ناحية الجدّة والتنوع التي توصف به المعلومات في بعض المواقف. فإذا كان استعمال نظام في صياغة نص ما يتكون من الهيئة التي تبدو عليها العناصر المستعملة في وقائع صياغة هذا النص، فإن إعلامية عنصر ما تكمن في نسبة احتمال وروده في موقع معين (أي إمكانه وتوقعه) بالمقارنة بينه وبين العناصر الأخرى من وجهة النظر الاختيارية. وكلما بعد احتمال الورود ارتفع مستوى الكفاءة الإعلامية).[٨]

فهي تشير إلى المدى الذي تكون فيه (العناصر أو المعلومات) داخل النص معتادة في معناها، وفي أسلوب التعبير عنها، وطريقة عرضها فتمثل عندها كفاءة إعلامية منخفضة الدرجة أو تكون غير معتادة فتمثل كفاءة إعلامية علية الدرجة.[٩]

ويلاحظ من هذه التعريفات أن مصطلح "الإعلامية" يستخدم لبيان مدى جدّة المعلومات ومدى توقعها عند المتلقين، فكلما كانت المعلومات جديدة وغير متوقعة، زادت الإعلامية، وكلما زادت الإعلامية زاد اهتمام المتلقي بالنص، وإذا استطاع أن يستوعب النص على الرغم من هذه الجدة والصعوبات، زادت رغبته في مواصلة القراءة. فوجود عناصر الإعلامية في النص مفيدة وتساعد القارئ على تنمية عقله وعلمه،[١٠] غير أنه يتوقف على مدى ما يملكه القارئ من المعارف الجاهزة (Prior knowledge) المتعلقة بالنص المقروء وقدراته القرائية.

ومع ذلك كله يجب على المنتج في محاولته كسر توقع المتلقين أن يحذر كي لا يسبب صعوبتهم في معالجة الموضوعات إلى درجة الفشل في أداء مغزى النص، ومن ثمّ يفقد المتلقون انتباههم فيتركون قراءة النص، كما أن عليه ألا يجعل نصه مبتذلاً سهلاً حتى يؤدي إلى الملل؛ وبهذا يفهم أن الإعلامية مهمة في إنتاج النص واستقباله إلا أنه لا بد أن يكون في قدر مناسب.

٢. مراتب الإعلامية:

تقوم نظرية الإعلامية على فكرة مفادها أن الاعتياد يؤدي إلى سهولة الإجراء، وعدم الاعتياد يؤدي إلى صعوبة الإجراء،[١١] وهناك مراتب توضّح مدى إمكانية توقّع وقائع النص من عدمه. وقد قسّم بروجراند ودريسلير الإعلامية إلى ثلاث مراتب: إعلامية الدرجة الأولى، وإعلامية الدرجة الثانية، وإعلامية الدرجة الثالثة.

أ. **إعلامية الدرجة الأولى:** وهي ما عبّر عنه بروجراند بـِ (المحتوى المحتمل لتركيب محتمل)،[١٢] ويكون سهلَ الصياغة ومبتذلاً وغيرَ إعلامي، وخير مثال على ذلك إشارة (مَمنوعُ التدخين) في أماكن عامة، فإنها واضحة للغاية، ويسهل توقع معناها من حيث الاتساق والانسجام، فضلاً عن وضوح السياق الذي ترد فيه الإشارة، فشكل اللائحة ولونها تدل على وضوح الإشارة وسهولة توقع معناها وهو تنبيه الناس على التدخين في هذه الأماكن. وهذه الإعلامية الدرجة من الأولى، فهي عديمة الأهمية وعديمة الإمتاع بالنسبة إلى المتلقي؛ لأنها متوقعة، كما تسمح العناصر الواردة في هذه الدرجة الدنيا بسهولة الإجراء.[١٣]

ب. **إعلامية الدرجة الثانية:** وهي ما عبر عنها بوجراند بـِ (المحتوى غير المحتمل في التركيب المحتمل أو المحتوى المحتمل في التركيب غير المحتمل)،[١٤] ومن شأن هذا المحتوى أن يتسم بالتحدي، ومع ذلك لا يدعى له دائماً أنه مثير للجدل بلا سبب. وتقع هذه الإعلامية في الغالب في النصوص الشعرية والأدبية، وهي الدرجة المعيارية أو الاتصال العادي عند أكثر النصوص للتحقق من اتصاليتها؛ وذلك لأنه إذا كان النص يحتوي على الإعلامية من الدرجة الأولى فقط، فإنها تكون مبتذلة ولا تحظى بقبول المتلقي،[١٥] كما أن الوقائع تتجاوز حالات الاختيار شبه الآلي؛ حيث توجد أدلة تخالف اختيار المتلقي، الأمر الذي يتطلب الترجيح بين الخيارات المتاحة؛ لكن الاحتمالات التي تقدمها الوقائع النصية تبقى داخل دائرة خيارات المتلقي، وتتسم وقائعها بقدر متوسط من الفرادة والجدة وعدم التوقع والغموض.[١٦]

ج. **إعلامية الدرجة الثالثة:** وهي ما عبّر عنها بوجراند بـ (المحتوى غير المحتمل في التركيب غير المحتمل).[١٧] ومن شأن هذا المحتوى أن يكون صعب الصياغة ومثيراً للجدل الحاد، ويحتاج إلى انتباه أكثر ومصادر الإجراء، غير أنه أكثر جاذبية. إن من أهم عناصر الإعلامية للدرجة الثالثة الانقطاعات (Discontinuities)؛ وهي تعني فقدان بعض المواد في النص أو عند عدم التعليق، والفجوات (Gaps)؛ أي التي تحدث عندما يشمل التعليق على جزء (slot) لا يتضمن أي محتوى،[١٨] والتعارضات (Discrepancies)، وهي تعني تعارض الأنماط المقدمة في النص مع أنماط المعرفة المختزنة في ذهن القارئ، وهذه العناصر غير معتادة، وشديدة الإثارة للانتباه، ومن ثم يصعب فهمها والسيطرة عليها،[١٩] كما أن العناصر الواردة في درجة أكثر وروداً للإجراء فإنها تستدعي عمق الإجراء،[٢٠] وحب الاستطلاع المعرفي، وعلى الرغم من ذلك، فإن الأمر يتوقف على قدرة المتلقي، فإذا كان لديه كفاءة، فبإمكانه

خفض درجة الإعلامية، ومن ثمّ يتوصل إلى الاستيعاب؛ وأما إذا كان لا يملك من الكفاءة ما يمكّنه من الاستيعاب، فإن احتمال الفشل كبير، ويؤدّي إلى مشكلة خطيرة.

وإذا قلنا مثلاً: (جذع شجرة) فإن ذلك لا يثير إلا قليلاً من الاهتمام؛ لأن ذلك سبق اختزانه في الذهن من حيث هو وصلة محددة من نوع (جزء من...) فإذا نسب إلى الشجرة جذوع متعددة، فإن ذلك سيجعلنا أكثر اهتماماً على الرغم من أنه لا يخلو من الإرباك (ليس نموذجياً ولكنه مسموح به، ومن هنا يكون من المرتبة الثانية)، فإذا كانت الشجرة دون جذع أصلاً فإنها على أي حال تتفرغ في الهواء، وهنا نتوجس من التعارض بين ذلك وبين الوصلة المحددة (المرتبة الثالثة).

ومثال آخر في التورية، وهي أن يطلق لفظ له معنيان، أحدهما قريب والآخر بعيد، ويراد به البعيد، يقول أحد الشعراء:

أَقُولُ وَقَدْ شَدُّوا إلى الحرب غارةً دَعُوني فإنّي آكل الخبزَ بالجُبْنِ[٢١]

فالجبن له معنيان: معنى قريب وهو الجبن الذي يؤكل، ومعنى بعيد وهو ضد الشجاعة، والمراد هنا هذا المعنى البعيد، والقرينة أقول (وَقَدْ شَدُّوا إلى الحرب غارةً)، وإن كان المعنى القريب هو المتبادر؛ لأنه جاء مع أكل الخبز.

٣. آليات رفع الإعلامية:

يراد بها الآليات التي تعمل على إيجاد عناصر غير متوقعة مما ترفع بها إعلامية النصوص، وقد اقتصر بروجراند ودريسلر على ثلاث آليات فقط لرفع الإعلامية، وهي: الانقطاعات (Discontinuity)؛ حيث تكون المواد مفقودة من بنية نصية؛ أي نقص المعلومات، والفجوات (Gaps)، والتناقضات (Discrepancies)؛ حيث تكون أنماط المعلومات الواردة لا تتطابق مع أنماط المعلومات المختزنة عند المتلقي.[٢٢]

غير أن الباحثَينِ لم يوضّحا بالتفصيل كل واحد من الآليات، وقد لجأ أحد الباحثين إلى تفصيلها؛ حيث أضاف إليها بعض الآليات التي تتناسب مع مفهوم الجدة والتنوع والغرابة التي تتناسب مع اللغة العربية، وهي في غالبها من العناصر البلاغية المعهودة عند العرب، وهي: [٢٣] التقديم والتأخير، والفجوات النصية (الحذف)، والاستعارة، والكناية، وأسلوب الحكيم، والمشترك اللفظي، والعنونة، والتوظيف الأسطوري، والفضاء النصي، والتصحيف المقصود. ويمكن إضافة عنصرين آخرين، وهما: التورية، وتأكيد المدح بما يشبه الذم وتأكيد الذم بما يشبه المدح.

وذكر أحد الباحثين بعض آليات رفع الإعلامية من خلال **المقامات اللزومية** للسرقسطي، وهي: [٢٤]

أ. الخروج على المألوف بلزوم مالا يلزم؛ حيث أثار الكاتب اهتمام المتلقي بتعدد أشكال اللزوم من مقامة إلى أخرى.

ب. على مستوى اختيار الكلمات، وذلك بإتيان الكاتب بكمية كبيرة من الكلمات غير المألوفة في مقاماته.

ج. استخدام الكلمات الوظيفية لبناء السجع عليها كقول السرقسطي: (عليّ بها عليّ، إليّ بها إليّ).

د. الإعلامية القصصية، وتتمثل هذه الإعلامية في الجدة التي يمثلها اختيار المحتوى أو الفكرة الأساسية في المقامات؛ حيث وصف السرقسطي شخصية الشيخ الواعظ بأنه محتال ونصّاب.

٤. تخفيض درجة التعقيد:

في عالم النص يعطي المنتج التأثير وعلى المتلقي أن يملك كفاءة لفهم النص، وذلك عن طريق تخفيض الإعلامية. ويعتبر التخفيض هنا بمثابة حل مشكلات النص وغموضه، وذلك للبحث عن معانٍ لدوال غامضة تدل عليها الوقائع النصية، وبيان سبب اختيار المعاني، وكيفية إتمامها إلى استمرارية وقائع الاتصال من جديد بعد أن فصلت من ذهن القارئ.[٢٥] يقوم المتلقي بتخفيض درجة التعقيد، وذلك في ثلاثة اتجاهات، وهي:[٢٦]

أ. التخفيض الرجوعي أو الخلفي (Backward Downgrading) بالعودة إلى الوراء داخل النص، لتحديد ما إذا كان العنصر المعقد يفسره آخر سابق عليه.

ب. التحفيض التقدمي أو الأمامي(Forward Downgrading) بالانتظار لمعرفة التطورات اللاحقة في النص، لتحديد ما إذا كان العنصر المعقد يفسره شيء لاحق له.

ت. التخفيض الخروجي (Outward Downgrading) بتذكر الحالات المشابهة في الذاكرة أو اللجوء لمعرفتنا عن العالم، لتحديد سببٍ يفسّر التعقيد المقصود لهذا العنصر.

٥. مصادر التوقعات:

تتم عملية خفض الإعلامية عن طريق مصادر معينة يستخدمها المتلقي سواء أكانت من معرفته حول العالم أم من النص ذاته، وذلك من أجل أن يتفاعل مع العناصر الجديدة وغير المتوقعة، وألا ينقطع اتصاله مع النص، وفيما يلي مصادر توقعات المتلقي كما اقترحها بوجراند ودريسلير العالم الواقعي (real world) ، وهو عبارة عن معلومات مختزنة وتجارب وقائعية تجعل الناس يرون العالم بطريقة معينة، ويعد ما صدق فيه من قبيل الحقائق مثل المعتقدات السائدة، ككون الأسباب لها نتائج وكون المادة لا تفنى...إلخ.[٢٧] ومن مصادر التوقع التنظيم الخاص للغة؛ إذ يتوقع الناس في العربية مثلاً عدم التقاء الساكنين، وبناء الجملة بترتيب معين كتقديم الموصوف على الصفة وتقديم الفعل على الفاعل...إلخ.[٢٨] ويؤدي نوع النص دوراً في توقع المتلقي للغموض الذي يعتريه أثناء القراءة؛ حيث يحدد ذلك المعايير التي

توجه عملية التلقي فالقصص الخيالية، والتقارير العلمية، وشعر الحداثة، وغير ذلك من النصوص لها من الخصائص ما تضوّئ به مسارات تلقي النص،[٢٩] وفضلاً عن ذلك، يمكن للمتلقي أن يستعين بالسياق المباشر في النص مصدراً للتوقعات؛ إذ تُفهم الجمل والعبارات من خلال السياق سواء أكان مكانياً أم زمانياً.

ثانياً: التجليات العامة للإعلامية في القرآن الكريم

سيتحدث الباحثان عن هذه التجليات في النقاط الأساسية الآتية:

١. الآيات المتشابهة:

يرى الباحثان أنّ كل مسائل الإعلامية في القرآن الكريم قد حصرها قوله تعالى:﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات﴾،[٣٠] ففي هذه الآية تصريح واضح من الله سبحانه وتعالى أن آياته ليست على مستوى واحد من الإعلامية، فبعضها محكم منخفض الإعلامية، وبعضها متشابه مرتفع الإعلامية.

يرى ابن كثير أنّ المحكمات يراد بها بينات واضحات الدلالة لا التباس فيها على أحد؛ وأما المتشابهات فهي ما تحتمل دلالتها موافقة المحكم؛[٣١] أما الطبري فقد أورد اختلافات السلف في مفهوم المحكم والمتشابه، فقال بعضهم إن المحكم هو الآيات المعمول بها، والناسخة المثبتة، والمتشابه هو المنسوخ والمتروك العمل به، وقال آخرون إن المحكم ما لم يحتمل من التأويل إلا وجهاً واحداً، وأما المتشابه فهو ما احتمل من التأويل أوجها، ثم ذكر الراجح من هذه الأقوال، فالمحكم هو ما عرف العلماء تأويله وفهموا معناه وتفسيره، والمتشابه من القرآن ما لم يكن لأحد إلى علمه سبيل، مما استأثره الله بعلمه دون خَلْقه، مثل الخبر عن وقت خروج عيسى بن مريم ووقت طلوع الشمس وغيره.[٣٢]

ومما سبق، اتضح أن المحكم هو الظاهر والواضح الدلالة ولا يحتاج إلى التأويل، وبهذا تكون الآيات المحكمة بمثابة الإعلامية من الدرجة الأولى كما عبّر عنها بروجراند ودريسلير: (المحتوى المحتمل لتركيب محتمل). ومن الآيات التي تندرج تحت هذه الدرجة قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾؛[٣٣] حيث لا سبيل لتأويلها وتفسيرها إلا بمعنى واحد؛ أما المتشابه فهو الغامض الدلالة، ويحتاج إلى التأويل، وهذا يتوافق مع ما قاله بروجراند ودريسلر: (المحتوى غير المحتمل في التركيب المحتمل)؛[٣٤] أي الدرجة الثانية، ومن ذلك الآيات التي اختلف المفسرون في تفسيرها إلى أقوال أو (المحتوى المحتمل في التركيب غير المحتمل)،[٣٥] و(المحتوى غير المحتمل في التركيب غير المحتمل)؛ أي الدرجة الثالثة، ومن ذلك الآيات التي لا سبيل إلى تأويلها وتفسيرها، فهي مما استأثره الله بعلمه.

والمتشابه ليس على ضرب واحد؛ ما ينوه إلى درجات من الإعلامية التي ذكرها أحد الباحثين على ثلاثة أضرب، وهي:[٣٦]

١. ضرب لا سبيل إلى الوقوف عليه كوقت الساعة وخروج دابة الأرض ونحو ذلك، وهذا إعلامية من الدرجة الثالثة.

٢. ضرب للإنسان سبيل إلى معرفته كالألفاظ الغريبة والأحكام المطلقة، وهذا إعلامية من الدرجة الثانية لأن هناك مصادر (كالحديث) يمكن من خلالها أن يطلع الإنسان على ما أشكل عليه.

٣. ضرب متردد بين الأمرين، يجوز أن يختص بحقيقة معرفته بعض الراسخين في العلم، ويخفى على من دونهم. وهذا إعلامية من الدرجة الثانية أو الثالثة.

٢. اللغة الجديدة:

الجدّة هي إحدى خصائص الإعلامية؛ حيث إنّ ما لا يتوقع دائماً يتصف بالجدة والغرابة والفرادة، فكلما كان عنصرٌ ما جديداً كان أغرب وأعجب وغير متوقع. وفي سياق الحديث عن هذا النوع من الإعلامية، يجب أن نأخذ في الاعتبار المتلقين الأوائل لهذا الكتاب الكريم، وهم العرب الجاهليون، والجِدّة اللغوية هي أوّل تجليات الإعلامية التي تلقّوها في بداية نزوله، فقد كان القرآن الكريم جديداً على الجاهليين لغة وتنظيماً، وفكراً، وتعتبر هذه الجدّة إعجازاً لغويّاً، وقد بيّن سبب صدارة هذا النوع من الإعجاز أحد الباحثين، بقوله: (الإعجاز اللغوي أسبق إلى الأذن وأظهر إلى العين من إعجاز المعاني الذى يتطلب إعمال الذهن، ومن ثم تركز الاهتمام الأعظم لكثير من المفسرين على اللغة والأسلوب والصياغة والنحو والصرف).[٣٧] ومن هنا تتجلّى حكمة إعلامية القرآن الكريم، وذلك بالإتيان بـ "اللغة الجديدة" حتّى تلفتَ انتباه المتلقين وهم عرب الجاهلية المعروفين بفصاحتهم وبلاغتهم.

لقد أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم في بداية نزوله على العرب الجاهليين، وكانوا في فترات نزوله أمة لغة وبيان وشعر، وإن نصوص القرآن الكريم خير مثال على أبعاد نظرية الإعلامية لما فيها من عناصر الجدّة وعدم التوقع التي حار أمامها فصحاء العرب من مشركي مكة، فمنهم من أعجب به فخضعوا له، ومنهم من أعجب به ولم يخضعوا له، والتسآل الذي يبدر هنا: ما الذي صدمهم؟ الجواب: إنها عناصر الجدّة وعدم التوقع في كل ما يحتويه القرآن الكريم من كلمات، ومصطلحات، وتعبيرات، وتراكيب أو بعبارة أخرى يمكن القول بأن القرآن جاء بالتجديد اللغوي والفكري للعرب.

ويرى أحد الباحثين[٣٨] أن الإعجاز اللغوي لا يقتصر على ما يسميه العبقرية القرآنية من جمالياته ودقة تعابيره التي كان قد درسها القدامى، بل الإعجاز اللغوي عنده هو إتيان القرآن الكريم بِـ "لغة جديدة"، وتكمن هذه الجدة في الألفاظ والمصطلحات والأدوات، والتراكيب والتعبيرات العلاقات اللغوية، والخروج عن الأعراف النحوية واللغوية، والأبعاد البلاغية.

وهناك وجود للأدوات التي تحمل معاني جديدة، ومنها: [٣٩]

أ. الأداة (كان) التي انفرد القرآن حتى الآن باستخدامها بمعنى (إنَّ): ﴿كان الله على كل شيء قديراً﴾.[٤٠]

ب. الأداة (قد) التقديرية التي تسبق المضارع عادةً، وقد استخدمها القرآن بمعنى أختها التحقيقية التي تسبق الماضي: ﴿قد يعلم الله المعوقين منكم﴾.[٤١]

ج. أداة الاستفهام (هل) التي كثيراً ما يتحول معناها في القرآن إلى (قد): ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكورا﴾.[٤٢]

د. أداة النفي (لا) التي كثيراً ما تأتي بمعنى الإثبات (نعم) أو بمعنى (حقّاً): ﴿فلا أقسم لموقع النجوم﴾.[٤٣]

هـ. الأداة (إمّا) التي قد تأتي بمعنى (إنْ): ﴿فإمّا تذهبن بك فإنا منهم منتقمون﴾.[٤٤]

و. الأداة المركبة (كما) التي يتحول معناها أحياناً إلى (لقد): ﴿كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾.[٤٥]

ز. الأداة الاستثنائية (حاشا) -بالألف-تصبح في القرآن (حاشَ) التنزيهية —ومن غير ألف- مع إسنادها للفظ الجلالة: ﴿وقلن حاش لله ما هذا بشرا ﴾،[٤٦] وقوله تعالى: ﴿قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء﴾.[٤٧]

ومما تقدم يتضح لنا جانباً واحداً من جوانب الجدة اللغوية في القرآن الكريم، ومن الجدير بالذكر أن هذه الأدوات قد تصبح مألوفة عند بعض المحدثين بأنها مميزات اللغة القرآنية؛ لكثرة اطلاعهم على التفاسير وبحثهم عن معانيها؛ لكنها لم تكن مألوفة عند عرب الجاهلية الذين تلقوا هذه الآيات لأول وهلة بهذه الجدة اللغوية، فلا بد أن تكون النصوص القرآنية إذاً مرتفعة الإعلامية؛ إذ إنه جاءت بأدوات وتعابير تخالف أعرافهم اللغوية وتخالف أفق توقعاتهم التي كانوا تعودوا عليهما، فلا عجب أن أصاب كثيراً من فصحاء المشركين "الإحباط اللغوي" عندما تلقوا القرآن وسمعوه من أفواه الصحابة رضوان الله عنهم.

في هذا الصدد، يجب أن نتصوّر كيف كان يستقبل الجاهليون الألفاظ القرآنية ومصطلحاتها وتراكيبها لأول وهلة؛ لنستشعر مفهوم الإعجاز اللغوي الذي كان يمرّ بها هؤلاء من الجيل الأول، ولا يمكن أن نتصورها بوجهة نظرنا نحن الآن؛ لأننا أصبحنا متعودين على هذه المصطلحات منذ أوّل قراءتنا للقرآن، وهذه الصدمة التي يواجهها الجاهليون تطلب منهم شدة الانتباه لفهم أغراضه.

هناك بعض المصطلحات التي دهمت العرب الجاهلين من سورة المدثر نموذجاً، ومنها: [٤٨]

- الرّجز (مصطلح جديد: أي الأصنام أو العذاب)، استخدمت الكلمة مجازاً ويتطلب إجراء الخفض لمعرفة معناها؛ إذ كانوا يعرفون معبودهم بالأصنام والتماثيل.

- الناقور (صيغة جديدة: وهو الصور الذي ينفخ فيه إسرافيل)، ترى، كيف فهم الجاهلي معنى هذا المصطلح الجديد الذي طرأ عليه وهو من الغيبيات؟

- صعوداً (صيغة جديدة ومعنى جديد، وقيل إنه اسم جبل في جهنم).

- سَقَر (لفظ جديد: أي جهنم).
- المجرمين (صيغة لم يعرفها الشعر الجاهلي بهذا المعنى).

هذه الجدة اللغوية والمخالفات اللغوية والنسقية تبيَّن أن القرآن يأتي على خلاف ما يألفه الإنسان الجاهلي من الشعر؛ إذ لو أتى الله بهذا النسق نفسه لما حظي بانتباه الفصحاء بقدر انتباههم للنسق القرآني الجديد هذا، فنرى مثلا ترتيب الّسور، وفن الالتفات.

هذه بعض تجليات إعلامية "اللغة الجديدة" التي كان يواجهها العرب الجاهليون والتسآل الآن: كيف كانوا يخفضون هذه الكمية الكبيرة من عناصر الإعلامية، وهم كانوا أمة لا تجيد القراءة والكتابة إلا قليل منهم؟

لا سبيل إلى التعرف على هذه الغرائب والجدّة إلا بأن يجالسوا الرسول صلى الله عليه وسلم ويسمعوا منه؛ لأن لم يكن لديهم دراسات ونظريات وتفاسير يمكن لهم من خلالها التوصل إلى معاني الألفاظ التي جاء بها القرآن؛ وذلك لأنّهم أدركوا إعجاز القرآن بفصاحتهم العربية وذوقهم البلاغي الغريزي، ونالوا حظهم من هداه بفاعلية عقولهم النبيلة وذكائهم واستعدادهم الفكري.[٤٩]

ثالثاً: الحروف المقطعة (سر لا يعلمه إلا الله)

إذا كانت هذه الألفاظ الجديدة قد أبهرت العرب القدامى، وبعضها كانت معروفة لديهم قبل الإسلام، فما بالهم بالحروف المقطعة التي باتت سرّاً من أسرار القرآن استأثرها الله بعلمه، وهي فواتح السور مثل: ألم، حم، يس، كهيعص وغير ذلك، ومن المؤكّد أن تكون هذه الحروف مفاجأة عظيمة جدّاً لدى هؤلاء الجاهليين؛ لأنّ مثل هذا النسق من الحروف لم يعهدوه من قبل.

ومما أدى إلى ارتفاع إعلامية هذه الحروف أنه لم يرد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه تكلم في معانيها، وإن أورد الطبري في تفسيره أن فريقاً من اليهود سألوه عن شأن هذه الحروف، إلا أنه صلى الله عليه وسلم لم يخبرهم بسر معاني هذه الحروف.[٥٠]

وللعلماء في هذه الحروف ما يزيد عن عشرين قولاً، وأرجحها أنها لبيان إعجاز القرآن، وقد أورده الطبري في تفسيره جامع البيان، ومنها:[٥١]

١. أن الحروف المقطعة أسماء القرآن، وقال هذا قتادة، وجريج، وابن جريج.
٢. قال بعضهم أسماء السور، وقال بهذا الرأي: عبدالرحمن بن زيد بن الأسلم.
٣. هي أسماء الله تعالى، وقال بهذا الرأي ابن عباس.
٤. هي حروف مقطعة من أسماء وأفعال، كما قال ابن عباس وسعيد بن جبير: ألم أي "أنا الله أعلم".
٥. وقال بعضهم : هي حروف من حساب الجمل. وغير ذلك من الأقوال.

والظاهر عند الباحثين–والله أعلم– أن هذه الحروف من المتشابه الذي استأثر الله به، وأنها دلالة على إعجاز القرآن الكريم، ومن ثمّ بات سرّاً يعجز البشر عن تفسير معانيه، والمتأمل لهذه الأقوال يعلم أن تعدد هذه التأويلات يدل على أن هذه الحروف في الدرجة الثالثة من الإعلامية، بل أعلى من ذلك.

وعلى الرغم من ذلك، فقد حاول بعض المفسّرين خَفْضَ هذه الإعلامية عن طريق الرجوع إلى بعض الممارسات التي كانت معهودة قبل الإسلام عند العرب واليهود؛ غير أنها كانت مختلفة تماماً عن أسلوب القرآن.[٥٢] ويمكن اعتبار هذه الإعلامية من الدرجة الثالثة؛ لأنها خارجة عن قائمة الخيارات أو الاحتمالات؛ لأن الوقائع النصية نادرة الوقوع أو غير متوقعة، كما تعددت الخيارات؛ غير أن القرائن نادرة جداً،[٥٣] حتى إن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يتكلم في هذا الشأن.

وممّا مارسه العرب في استخدام الحروف المقطعة، قول الشاعر: قلنا لها قفي فقالت قاف،[٥٤] أرادت: قالت وقفت.

بالخير خيراتٍ وإن شرّاً فا ولا أريد الشر إلا أن تا[٥٥]

أراد: إن شرّاً فشرٌ و أراد: إلا أن تشاء.

المتأمّل لهذا البيت ، يجد أنّه من الممكن تأويله نظراً إلى وروده في سياق معين يسهل تأويله، بخلاف الحروف المقطعة القرآنية؛ فإنّها تبقى مرتفعةَ الإعلامية، بل هي أعلى درجات الإعلامية في كل النصوص الموجودة على وجه الأرض؛ لأن الله سبحانه وتعالى استأثر بها في علمه، فهي تختلف عن الأخبار الغيبية الأخرى التي استأثر الله بها في علمه كموعد الساعة، فهي على الرغم من جهلنا بها، إلاّ أن الله سبحانه وتعالى قد أخبرنا بعلاماتها وأشراطها على لسان رسوله المصطفى خلال أحاديثه، فالمسلم بإمكانه أن يطّلع على تلك الأشراط وينظر لما حوله ويتدبره؛ وأما الحروف المقطعة، فلم يكن هناك من تأويل وإشارات تدل على معانيها الصحيحة الحقيقية.

هذا، ولا تزال هذه الحروف سراً من أسرار الكون إلى يومنا هذا، فلا توجد اجتهادات جديدة لدى المتأخرين[٥٦] والمعاصرين في معاني هذه الحروف وحقيقتها ما يخفض بها الإعلامية، بل لقد أدى ذلك ببعضهم إلى القول بالصرفة؛ أي أن هذه الحروف قد صرفت عن تحدّيها.[٥٧] وعلى الرغم من ذلك، باتت هذه المسألة موضع اهتمام الباحثين المعاصرين؛ إذ حاول بعضهم فك شفراتها عن طريق البحث في المناسبات بين السور المفتتحة بالحروف؛[٥٨] غير أنها لا تزيد على أن تكون مناقشة لآراء المتقدمين وتحليلها. وفضلاً عن ذلك، هناك محاولة رائعة من أحد الباحثين تحاول مقاربة هذا الإعجاز من خلال الإعجاز الصوتي من منظور اللغات السامية؛[٥٩] لضرورتها في فك كثير من القضايا الغامضة في العربية وبخاصة القرآن الكريم.

رابعاً: الإشارات العلمية الحديثة في القرآن

انقسم العلماء في هذه المسألة إلى فريقين؛ أولاً فريق مؤيدين بما فيهم الإمام الغزالي والسيوطي، وابن أبي الفضل المرسي، والقاضي أبو بكر بن العربي، وثانياً فريق المعارضين وهم الإمام الشاطبي، والشيخ محمد شلتوت.[٦٠] وتميل هذه الدراسة هذه إلى رأي الذين قالوا بوجود إشارات علمية في القرآن الكريم؛ وترى أن الله تعالى لم ينزل القرآن على الفصحاء أو اللغوين أو المهتمّين باللغة أو العرب خاصةً، بل أنزله على الناس أجمعين، فإذا كان القرآن الكريم المتصف بالإعجاز قد أعجز الفصحاء الجاهليين بالإعجاز البياني، فإنه في هذا عصر التكنولوجيا الحديثة وصورة المعلومات قد أبهر العلماء في مجال العلوم من خلال الإشارات العلمية التي ذكرت في القرآن الكريم منذ ألف وأربعمائة سنة الماضية، وقد اقتضت حكمة الله أن جعل آخر هذه الأمةِ أمةً تتميز بالتقدم العلمي والتطور المعرفي، وذلك من خلال توافق الإشارات العلمية المستمدة من القرآن الكريم مع الاكتشافات العلمية الحديثة؛ ما يدل على شمول القرآن علوماً ومعارف لم يعلم بها أي شخص من العرب القدامى وحتى العلماء المسلمين في العصور الذهبية، إذ يقول الله تعالى في شأن آياته: ﴿سَنُرِيْهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ﴾. [٦١]
يختلف تلقي المسلمين القدامى للآيات العلمية عن تلقي مسلمي الحاضر، فقد كانت تلك الآيات عند القدامى نصوصاً مرتفعة الإعلامية لورود عناصر غير متوقعة عن المعنى المراد؛ لكنها بالنسبة إلى المعاصرين المطلعين على القرآن الكريم والحقائق العلمية يعلمون أنها إشارات علمية من الخالق سبحانه وتعالى- مع اختلاف وجهات النظر في هذا الأمر- ويرى الأستاذ مصطفى صادق الرافعي أنّ الأوائل كانوا يهتمّون بالجانب العقدي في تفسير الأيات القرآنية التي فيها إشارات علمية، ولم يأخذوها حقائق علمية؛[٦٢] ولكن هذه الحالة تغيرت الآن؛ لأن حكماء العصر قد خاضوا في المسائل العلمية، واكتشفوا الإشارات الدالة على قدرة الله، حتى غدت النظريات العلمية المعاصرة صالحة لتفسير آيات الله بطريقة جديدة، تضيف قيمة جديدة على تفاسير القدامى.

هذا، وقد كانت مصادر تفسير القرآن عند الأوائل تقتصر على خمسة مصادر، وهي: تفسير القرآن بالقرآن أو بالحديث أو بأقوال الصحابة أو أقوال التابعين أو الاستناد إلى ألفاظ العرب، ومن ثم، فإن الإعلامية التي تكمن في الحقائق العلمية لا بد من خفضها عن طريق الاكتشافات العلمية الثابتة؛ ما يبرز إعجاز القرآن الكريم.

ولا شكّ أنّ الإعجاز العلمي أبْهَرَ كلَّ مهْتمٍّ بالقرآن والعلوم الكونية، وهكذا شأن النصوص المرتفعة الإعلامية، إنها تشوّق القرّاءَ بكسر توقّعاتهم العقلية، ومن ثمّ تزيد من الإقبال على القرآن؛ ولذلك أسلم

كثير من العلماء الكبار بسبب الإعجاز العلمي، كما كان يتأثر الفصحاء العرب بالأسلوب البياني المعجز في الأيام الأولى من نزول الوحي.

وفي هذا الصدد يمكننا الوقوف عند بعض الآيات التي تحتوي على إشارات علمية، ونلاحظ بعض الاختلافات في تفسير بعض الآيات التي لم يكشف عن إعلاميتها وحقيقتها العلمية المفسرون القدامى:

الأولى– قوله تعالى: ﴿بلى قادرين على أن نسوي بنانه﴾،[٦٣] ورد في تفسير الطبري[٦٤] أقوال من الصحابة رضوان الله عنهم، ومنهم ابن عباس رضي الله عنه: (لو شاء لجعله خفاً أو حافراً)، وقال قتادة: (قادر والله على أن يجعل بنانه كحافر الدابة أو كخفّ البعير، ولو شاء لجعله كذلك، فإنما ينقي طعامه بفيه). ونقل ابن كثير[٦٥] هذا المعنى عن ابن عباس، ومجاهد ، وعكرمة ، والحسن ، وقتادة ، والضحاك ، وابن جرير). وقال الفرّاء: (أن نجعل أصابعه مصمتة غير مفصلة كخف البعير).[٦٦] ومن الملاحظ في هذه التفاسير أن القدامى فهموا "تسوية البنان" بمعنى تسوية أطراف الأصابع لدرجة تشبهها بأصابع الدابة والبعير.

غير أنّ الاكتشافات الجديدة من خلال الأبحاث العلمية الدقيقة أثبتت أنّ هذا التعبير (أن نسوّي بنانه) ليس مجرد تشبيه أو تمثيل، وإنما هو في حقيقة أمره ظاهرة علمية يذهل أمامه كل متدبر للقرآن وقارئ له. ومن المفسرين الذين أشاروا إلى هذا الإعجاز العلمي صاحب تفسير الميزان من أنّ "تسوية البنان" هنا قد يراد بها بصمات الأصابع التي اكتشف العلماء أنها وسيلة فعالة للتعرف على هوية كل إنسان؛ حيث إنّ كل إنسان يملك خطوطاً مميزة من غيره، وهذه الإعلامية من الدرجة الثانية لورود بدائل تدل على المعنى المراد، ومن المبادئ التي اعتمدت عليها نظرية الإعلامية نظرية المعلومات القائلة بالمبدأ: (كلما قلّ احتمال الإرسال لإشارة من الإشارات قلّ توقع المستقبل لها)،[٦٧] وكلما قلّ توقع المستقبل لها كان أغرب، وكلما كان أغرب كان أوقع في النفس، وهنا تكمن الإعلامية.

وعلى الرغم من ذلك، لا نقول إنّ القدامى لا يعرفون الحقائق العلمية البتة من خلال القرآن، فالله سبحانه وتعالى قد أنبأهم بقدر ما توصلوا إليه من صناعة الحديد مثلاً؛ حيث قال: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.[٦٨]

وقد عرف القدامى حقيقة نزول الحديد من الفضاء من خلال الروايات عن الصحابة رضوان الله عنهم؛ فقد نقل الطبري عن عكرِمة عن ابن عباس، قال: ثلاثة أشياء نزلت مع آدم صلوات الله عليه: السندان،[٦٩] والكلبتان،[٧٠] والميقعة،[٧١] وهكذا ورد في تفسير ابن كثير.

الثانية– قوله تعالى: ﴿وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب﴾: [٧٢] لقد أوّل هذه الآية كثير من المفسرين القدامى بأنها تصف أهوال يوم القيامة وما يحدث فيها من سير الجبال ونسفها ودكّها وزلزالها. قال ابن كثير: (تراها كأنها ثابتة باقية على ما كانت عليه ، وهي تمر مر السحاب ، أي : تزول عن أماكنها ، كما قال تعالى: ﴿يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا﴾، [٧٣] وقال: ﴿ ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا ﴾، [٧٤] وقال تعالى: ﴿ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة﴾[٧٥]....)؛[٧٦] حيث ربط هذه الآية بهذه الآيات الأخرى التي تصف أحوال الجبال يوم القيامة.

وبناء على هذا التأويل والتفسير نقول إنّ هذه الآية تعتبر ذات إعلامية من الدرجة الثالثة عند المفسّرين الأوائل؛ حيث كانوا يعتقدون أنّ مرور الجبال هو أوصاف لأحوال القيامة.

وقد استنبط بعض العلماء المحدثين من هذه الآية حركة الأرض من حركة الجبال قياساً إلى حركة السحاب، وبذلك يكونون قد عارضوا تفسير الأوائل في أنّ سير الجبال هنا إنما يكون يوم القيامة، وذلك للأدلة الآتية:[٧٧]

أ. ورد في الآية كلمة (تحسبها)، والحسبان هو الظنّ، ولا مجال للظن في يوم القيامة؛ لأن الناس سيرون أهوالها رأي العين.

ب. يختلف سياق هذه الآية عن الآيات الأخرى التي تتحدث عن حركة الجبال يوم القيامة، فالسياق سياق بيان لصنع الله (صنع الله الذي أتقن كل شيء)، وبطبيعة الحال تختلف عن تلك الآيات التي تستخدم كلمات مثل: النسف، والزلزال، والدك، والعهن المنفوش، وغير ذلك.

ج. قوله تعالى في ختام السورة: (وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها).

وبهذا يكون العلماء المحدثون قد خفّضوا هذه الإعلامية من الدرجة الثالثة إلى الدرجة الثانية بناء على مصدر حديث وهو الاكتشافات العلمية الحديثة؛ ما يدل على أن النصوص القرآنية نصوص حيَّة ورسالتها خالدة للإنسان، كلٌّ يأخذ به على قدر الظروف والموارد المتاحة في عصره.

وقال صاحب كتاب **الإسلام في عصر العلم** مبيّناً الحكمة من تلميح هذه الحقائق وعدم التصريح بها: (وفي الحق أن في القرآن دلالات متعددة جاءت عن طريق الإشارة لا صريح العبارة، مراعاة لمقتضى الحال في خفائها وعدم إحساس الناس بها، فلو أن القرآن صارحهم بحركة الأرض وهم يحسبونها ساكنة لكذبوه وحيل بينهم وبين هدايته، فكان من الحكمة البالغة ومن الإعجاز البلاغي في الأسلوب أن ينبه الناس في كتاب الله إلى آياته سبحانه وتعالى في حركة الأرض حول محورها وفي حركتها حول الشمس بمختلف الإشارات إلى نتائج كل من الحركتين، منّاً عليهم بها، وحثّاً لهم على اكتناه أسبابها).[٧٨]

الخاتمة:

مما سبق بيانه في تجليات إعلامية القرآن الكريم تبيّن ما يأتي:

١. اتّضح لنا أنّ القرآن الكريم لا يكون على درجة واحدة من الإعلامية، فبعض آياته تقع في الإعلامية من الدرجة الأولى؛ أي محكمٌ واضح الدلالة، كقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾،[٧٩] وبعضها من الإعلامية من الدرجة الثانية؛ أي متشابه إلا أنه يمكن تأويله أو يمكن اختيار أحد تأويلاته كالآيات التي أوّلها العلماء في غريب القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿لاَ تَفْرَحْ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الفرِحِينَ﴾؛[٨٠] وذلك لأنّ الآية لأوّل وهلة تثير نوعاً من المفاجأة والغرابة؛ لكنها بعد الخفض جاء الفرح هنا بمعنى (البطر)، وبعضها من الدرجة الثانية ويمكن تأويلها؛ لكنها استغرقت مدة طويلة من الزمن كالآيات التي فيها إشارات علمية، فإنها لم يتوصل العلماء إلى التأويل العلمي لها إلا في القرون الأخيرة من السنة الميلادية، وبعضها متشابه ولا يمكن خفض إعلاميته أبداً كالحروف المقطعة، ووقت قيام الساعة وغير ذلك من الأمور الغيبية التي استأثر الله بها في علمه. وبناء على ذلك نقول إنّ درجات الإعلامية القرآنية واضحة وبارزة مثل درجات الإعلامية التي وضعها بروجراند ودريسلير.

٢. لقد بذل العلماء قديماً وحديثاً قصارى جهدهم في تخفيض إعلامية القرآن الكريم؛ إذ لا يمكن فهم القرآن والوقوف على أسراره إلا بالرجوع إلى مصادر مختلفة، وباستيعاب أنواع كثيرة من العلوم، ويكون التخفيض أمامياً أو خلفياً إذا كان عن طريق القرآن نفسه، وهو بمثابة تفسير القرآن بالقرآن، كما يمكن تخفيض إعلامية القرآن تخفيضا خارجياً، إذا كان عن طريق الأحاديث أو أقوال الصحابة أو أقوال التابعين أو الاستناد إلى ألفاظ العرب أو والاكتشافات العلمية الحديثة.

٣. إن إعلامية القرآن لها حِكَم وأغراض، وأهمها الإعجاز، وإمتاع المتدبرين، والحثّ على تدبر آيات كتاب الله جل وعلا، ومن جانب الإشارات العلمية، تتجلى حكمة إعلامية القرآن في مراعاة المتلقين القدامى،. كما يمكن أن يستخلص من هذا البحث أنّ الله سبحانه وتعالى قد جعل في هذا القرآن مفاجآت وأموراً غير متوقعة مراعياً ظروف المتلقين، فلما كان الجاهليون أمة فصاحة وبيان فإن المفاجآت تكون في الجانب البياني، ولما كان المعاصرون أمة علم وتكنولوجيا، فإن المفاجآت تكون في الإشارات العلمية، وهذه الإشارات لم يعلمها القدامى، وهنا تكمن إعلامية القرآن الكريم؛ ما يدل على أن القرآن نص يتلاءم مع كل العصور وكل الأزمان، كما يمكن أن نثبت هنا أنّ إعلامية القرآن الكريم تفوق إعلامية النصوص البشرية أحياناً.

هوامش البحث:

[١] انظر: القرطاجني، حازم، **مناهج البلغاء وسراج الأدباء**، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، (القاهرة: دار الكتب الشرقية، د.ت)، ص٩٠.

[٢] خضير، محمود خليف، **المعايير البلاغية في الخطاب النقدي العربي القديم**، ط١، (عمان: دار غيداء، ٢٠١٢م)، ص٢٣١.

[٣] الجرجاني، عبد القاهر، **دلائل الإعجاز**، ط٣، (القاهرة: مطبعة المدني، ١٩٩٢م)، ص٢٨٦.

[٤] انظر:

Beaugrande, Robert Alain De & Dressler, Wolfgang Urich, *Introduction to Text Lingustics*, London:Longman, 1981, p. 8.

[٥] انظر: المرجع السابق، ص١٣٩.

[٦] المرجع السابق نفسه، ص٨.

[٧] نفسه، ص١٣٩.

[٨] دي بوجراند، روبرت، **النص والخطاب والإجراء**، ط٢، ترجمة: تمام حسن، (القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٧م)، ص ٢٤٩.

[٩] انظر: محيسن، محمد عبد الرضا، و مشكور كاظم العوّادي، "الإعلامية في الدرس البلاغي العربي: دراسة في ضوء علم النص"، **مجلة اللغة العربية وآدابها**، ع(١)، ٢٠١٣م، ص٦١.

[١٠] انظر:

Graesser, A.C, McNamara, D.S, Louwerse, M.M, Chai, X. "Coh-Metrix: Analysis of Text on Cohesion and Language", *Behaviour Research Method, Instruments & Computers*, 36 (2), 2004, p. 194.

[١١] انظر:

Beaugrande & Dressler, *Introduction to Text Linguistics*, p. 141.

[١٢] دي بوجراند، روبرت، **النص والخطاب والإجراء**، ص ٢٤.

[١٣] انظر: المرجع السابق نفسه.

[١٤] انظر: نفسه.

[١٥] انظر:

Beaugrande & Dressler, *Introduction to Text Linguistics*, p. 143.

[١٦] انظر: عبدالرحمن، محمد، **الإعلامية أبعادها وأثرها في تلقي النص: دراسة نظرية تحليلية**، (رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، ٢٠٠٧م)، ص٣٣.

[١٧] دي بوجراند، روبرت، **النص والخطاب والإجراء**، ص٢٤.

[١٨] انظر: المرجع السابق، ص١٢٠.

[١٩] انظر: المرجع السابق نفسه، ص٢٥.

[٢٠] انظر: نفسه، ص٢٤.

[٢١] نقلاً عن: عباس، فضل حسن، **البلاغة العربية فنونها وأفنانها: علم البيان والبديع**، ط١٢، (عمان: دار النفائس، ٢٠٠٩م)، ص٣٢٧.

[٢٢] انظر:

Beaugrande & Dressler, *Introduction to Text Linguistics*, p. 159.

[٢٣] انظر: عبد الرحمن، محمد، **أبعاد الإعلامية وأثرها في تلقي النص**، ص٦١-٧٩.

[٢٤] انظر: محمد، غزة شبل، **علم لغة النص النظرية والتطبيق**، ط١، (القاهرة: مكتبة الآداب ، ٢٠٠٧م)، ص٦٩-٧٣.

[٢٥] انظر:

Beaugrande & Dressler, *Introduction to Text Linguistics*, p.144.

[٢٦] انظر: السابق.

[٢٧] انظر: دي بوجراند، روبرت، **النص والخطاب والإجراء**، ص ٢٦.

[٢٨] انظر: المرجع السابق نفسه.

[٢٩] انظر:

Beaugrande & Dressler, *Introduction to Text Linguistics*, p. 148.

[٣٠] سورة آل عمران، الآية ٧.

[٣١] انظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر، **تفسير ابن كثير**، ط٦، (الرياض: دار السلام، ٢٠٠٤م)، ج١، ص٤٧٦.

[٣٢] انظر: الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن تفسير الطبري**، (القاهرة: دار الحديث، ٢٠١٠م)، ج٣، ص٩٧.

[٣٣] سورة الإخلاص، الآية ١.

[٣٤] دي بوجراند، روبرت، **النص والخطاب والإجراء**، ص ٢٤.

[٣٥] السابق.

[٣٦] انظر: المجيد، عبد المجيد ياسين، **المبنى والمعنى في الآيات المتشابهات في القرآن الكريم**، ط١، (بيروت: دار ابن الحزم، ٢٠٠٥م)، ص٤٤.

[٣٧] البنا، جمال، **تفسير القرآن الكريم بين المفسرين القدامى والمحدثين**، (القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٨م)، ص٣٧.

[٣٨] انظر: ساعي، أحمد بسام، **المعجزة إعادة قراءة الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم**، ط١، (هيرندون، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ٢٠١٢م)، ص١٩-٢٣.

[٣٩] انظر: المرجع السابق، ج٢، ص ١٨-٢١.

[٤٠] سورة الأحزاب، الآية ٢٧.

[٤١] سورة الأحزاب، الآية ١٨.

[٤٢] سورة الإنسان، الآية١ .

[٤٣] سورة الواقعة، الآية ٧٥.

[٤٤] سورة الزخرف، الآية ٤١.

[٤٥] سورة البقرة، الآية ١٥١.

[٤٦] سورة يوسف، الآية ٣١.

[٤٧] سورة يوسف، الآية٥١ .

[٤٨] انظر: السابق نفسه، ص ٢١٢.

[٤٩] انظر: شمس، مريم، **الإعجاز الطبي في القرآن: دراسة نقدية تحليلية**، ط١، (بيروت: دار الهادي، ٢٠٠٥م)، ص٥٦.

[٥٠] انظر: الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن تفسير الطبري**، ج١، ص١٧٩.

[٥١] انظر: المرجع السابق، ص ١٧٠.

[٥٢] انظر: صالح، فضل عباس، **الحروف المقطعة في أوائل السور**، (رسالة ماجستير في أصول الدين بجامعة النجاح الوطنية فلسطين،٢٠٠٣م)، ص٩٣.

[٥٣] عبدالرحمن، محمد، **الإعلامية أبعادها وأثرها في تلقي النص: دراسة نظرية تحليلية**، ص٣٣.

[٥٤] ابن كثير، إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم**، ط٦، (الكويت: مؤسسة الريان،، ٢٠١١م)، ج١، ص٥٢.

[٥٥] نقلاً عن: المرجع السابق نفسه.

[٥٦] الحكمي، يحيى محمد، "الحروف المقطعة في القرآن الكريم بين تأملات المفسرين وتخريجات النحويين: دراسة تحليلية"، **مجلة كلية اللغة العربية**، ع(٢)، ص١٠٤.

[٥٧] العوّادي، مشكور كادم، "التحدّي والمعاجزة بالحروف المقطعة ومضات تقريبية للمعادلة الإعجازية للقرآن"، **مجلة كلية الفقه**، ع(٥)، ص١٨١.

[٥٨] انظر: أبو عيسى، فضل عباس صالح اللطيف، **الحروف المقطعة في أوائل السور**، (رسالة ماجستير، جامعة النجاح، د.ت).

[٥٩] اتظر: ناعيم، مليكة، "تأملات في فواتح السور من خلال تفسير الكشاف للزمخشري وفي ضوء اللغات السامية"، **مجلة المجمع**، ع(٩)، ٢٠١٥م، ص ٣٠١-٣١٨.

[٦٠] انظر: الأطرش، رضوان جمال، **رسالة في الإعجاز القرآني**، (كوالالمبور: مركز البحوث، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، ٢٠٠٧م)، ص٢٦١-٢٦٦.

[٦١] سورة فصلت، الآية ٥٣.

[٦٢] انظر: الرافعي، مصطفى صادق، **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، (بيروت: دار الكتاب العربي،٢٠١١م)، ص١٤٨.

[٦٣] سورة القيامة، الآية ٤.

[٦٤] الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن تفسير الطبري**، ج١٠، ص٨٣٢٢.

[٦٥] انظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر، **تفسير ابن كثير**، ج١، ص ٢٩٤٥.

[٦٦] الفراء، يحيى بن زياد، **معاني القرآن**، ط١، (القاهرة: دار السلام، ٢٠١٣م)، ج٣، ص١١٨٠.

[٦٧] انظر:

Claude E. Shannon & Warren Weaver, *The Mathematical Theory of Communication*, (Urbana: The University of Illinois Press, 1964), pp. 1-4.

[٦٨] سورة الحديد، الآية ٢٥.

[٦٩] ما يطرق الحدّاد عليه الحديد.

[٧٠] أداة من حديد يلقط بها الحدّاد الحديدَ أو الجمر.

[٧١] المطرقة.

[٧٢] سورة النمل، الآية ٨٨.

[٧٣] سورة الطور، الآية ٩ – ١٠.

[٧٤] سورة طه، الآية ١٠٥ ، ١٠٧.

[٧٥] سورة الكهف، الآية ٤٧.

[٧٦] ابن كثير، إسماعيل بن عمر، **تفسير ابن كثير**، ج١، ص٢١٠٩.

[٧٧] انظر: الحبّال، محمد جميل و الجواري، مقداد مرعي، **العلوم في القرآن**، ط١، (بيروت: درا النفائس، ١٩٩٨م)، ص٢٨.

[٧٨] الغمراوي، محمد أحمد، **الإسلام في عصر العلم**، ط١، (القاهرة: مطبعة السعادة، ١٩٧٣م)، ص٢٣٢-٢٣٣.

[٧٩] سورة الإخلاص، الآية ١.

[٨٠] سورة القصص، الآية ٧٦.

Reference المراجع

ʿabd al-Raḥmān, Muḥammad, *al-ʾiʿlāmiyah ʾabʿaāduhā Wa ʾatharuha Fī Talaqqī al-Naṣ: Dirāsah Naẓariyah Taḥlīliyah*. (Rislah Dukturāh, al-Jamiʿah al-ʾislamiyyah al-ʿalamiyyah Malaysia. 2007).

ʾabu ʿudah, ʿudah Khalīl, *al-Taṭawwur al-Dilālī Baina Lughah al-Siʿr Wa Lughah al-Qurān*, 1st Edition, (Amman: Maktabahah Al-Manār, 1985).

Al- Hibāl, Muḥammad Jamīl & al-Jawāri, Miqdād Marʿi, *alʿulūm Fī al-Qurān*, 1st Edition, (Beirut: Dār Al-Nafāis,1997).

Al- Ṭabari, abu Jaʿfar Muḥammad Bin Jarīr, *Jāmiʿ al-Bayān ʿan Taʿwīl āy al-Qurān Tafsīr al-ṭabarī*, (Cairo: Dār Al-Salām, 2005).

Al- Ṭabari, abu Jaʿfar Muḥammad Bin Jarīr, *Jāmiʿ al-Bayān ʿan Taʿwīl āiy al-Qurān Tafsīr al-ṭabarī*, (Cairo: Dār Al-Salām, 2010).

Al- Ṭabari, abu Jaʿfar Muḥammad Bin Jarīr, *Tafsīr al-Tabarī Jāmiʿ al-Bayān ʿan Taʿwīl āiy al-Qurān: Taqrib Wa Tahzīb*, (Damascus: Dār al-Qalam, 1997).

Al-ʿawwādī, Mashkūr Kāzim, "al-Taḥaddī Wa al-Muʿājazah Bi- al-Ḥurūrf al-Muqattaʿah Wa Madāt Taqrībiyyah Lilmuʿādalah al-ʾiʿjāziyah Lil-Qurān", *Majallah Kulliyat Al-Fīqh*, Vol. (5), 2007.

Al-ʿawwādī, Mashkūr Kāzim, Muḥaisin, Muḥammad "abdul Ridhā, "*al-ʿilāmiyyah Fī al-Dars al-Balāghī al-ʿarabyyi: Dirāsah Fī Ḍauʾ ʿilm al-Naṣ"*, *Majallah Al-Lughah Al-ʿarabiyyah Wa ādābuha*, ʿadad(1) Sannah (17), 2013.

Al-Bannā, Jamāl, *Tafsīr al-Qurān al-Karīm Baina al-Mufassirīn al-Qudāmā Wa al- Mua'siīn*, (Cairo: Dār al-Shurūq, 2008).

Al-Farrāʿ, Yaḥyā Bin Ziyād, *Mʿāni al-Qurān*, 1st Edition, (Cairo: Dār al-Salām, 2013).

Al-Ghamrāwī, Muḥammad ʾaḥmad, *al-ʾislām Fī ʿaṣr al-ʿilm*, (Cairo: Maṭabaʿah al-Saʿādah, 1973).

Al-Ḥakamī, Yaḥyā Muḥammad, "al-ḥurūf al-Muqattaʿah Fī al-Qurān al-Karīm Baina Taʾammulāt al-Mufassirīn Wa Takhrījāt al-Naḥwiyyīn: Dirāsah Taḥlīliyah", *Majallah Kulliyah al-Lughah Al-ʿarabiyyah*, Vol 2.

Al-Majīd, ʿabdul Majīd Yāsin, *al-Mabnā Wa al-Maʿnā Fī Al-Ayāt al-Mutasy'abihāt Fī al-Qurān al-Karīm*, 1st Edition, (Beirūt: Dār Ibn al-Hazm, 2005).

Al-Nablusī, Muḥammad Rātib, *Muwsuʿat Al-Iʿjaz Al-ʿIlmī Fī Al-Qurān Wa Al-Sunnah Ayat Allāh Fī Al-āfāq*, 4th Edition, (Damascus: Dar Al-Maktabahi, 2010).

Al-Qartājanī, Hāzim, Manāhij al-Bulaghāʿ Wa Sirāj al-ʾudabāʿ, (Cairo: Dār al-Kutub al-Sharqiyyah).

Al-Rāfaʿiy, Mustafā Sādiq, *ʾiʿjāz al-Qurān Wa al-Balāghah al-Nabawiyyah*, (Beirūt: Dār al-Kitāb al-ʿarabyyiyy, 2011).

ʿamri, Muḥammad Amīn Khairullāh, *Tījān al-Bayān Fī Mushkilāt al-Qurān*, (Mosul:Maṭbaʿah Jamiʿah al-Moṣil, 1985).

Aṭrash, Raiḍwān Jamāl, *Risālah Fī al-ʾiʿjāz al-Qurāni*, (Kuala Lumpur: al-Jamiʿah al-ʾislamiyyah al-ʿalamiyyah Malaysia, 2007).

Beaugrande, Robert Alain De & Dāressler, Wolfgang Ulrich, *Introduction to Text Lingustics*, (London: Longman, 1981).

Beaugrande, Robert Alain De, *al-Naṣ Wa al-Khiāb Wa al-ʾijrāʾ*, 2nd Edition, Tarjamah: Tammām Hasan, (Cairo: ʿālam al-Kutub, 2007).

Graesser, A.C, McNamara, D.S, Louwerse, M.M, Chai, X., Coh-Metrix: Analysis of Text on Cohesion and Language, *Behaviour Research Method, Instruments & Computers*, 36 (2), 2004.

Hasan, ʿAbbās, Fadhl, *al- Balāghah Al- ʿarʾabiyyah Funūnuha Wa Afnānuha: ʿilm al-Bayān Wa al-Badīʿ*,(Amman: Dār al-Nafāis, 2009).

Ibn Kathīr, Ismāʿīl Bin ʿumar, *Tafsīr Ibn Kathīr*, 6th Edition, (Riyadhh: Dār al-Salām, , 2004)

Ibnu Kathīr, Ismāīʿl Bin ʿumar, *Tafsīr al-Qurān al-ʿaẓīm*, (Kuwait: Muassasat al-Rayyān, 2011)

Muḥammad, Ghazzah Shibl, *ʿilm Lughah al-Naṣ al-Nazariyāt Wa al-Tatbīq*, (Cairo: Maktabahah al-Adāb, 2007).

Sāʿi, ʾaḥmad Bassām, al-*Muʿjizāt Iʿādat Qirāat Al-Iʿjaz Al-Lughawī Fī Al-Qurān Al-Karīm*, 1st Edition, (USA: International Institute of Islamic Thought, 2012).

Sāliḥ, Fadhl ʿAbbās, *al-Hurūf al-Muqaṭṭaʿah Fī ʾawāil al-Suwar*, (Risalah Majistīr, Jamiʿah al-=Najāḥ al-Waṭaniyyah, 2003).

Shams, Maryam, *al-ʾiʿjāz al- Ṭibiy- Fī al-Qurān: Dirāsat Naqdiyyah Tahlīliyyah*, 1st Edition, (Beirūt: Dār Aal-Hādī, 2005).

Shannon, C. E. & Weaver, W, *The Mathematical Theory of Communication*, (Urbana: The University of Illinois Press, 1964).